# جودة الحياة الأسرية عند الأم بعد اختطاف ابنها "دراسة ميدانية"

**د. ميلودي حسينة**

**جامعة العقيد أكلي محند أولحاج "البويرة"**

**zeg.radia4@gmail.com**

**الملخص:** تمركزت هذه الدراسة حول جودة الحياة الأسرية عند الأم التي تعرض أحد أبنائها للاختطاف، والتي تهدف إلى معرفة مدى تَأثُرْ نوعية أو جودة الحياة عند الأمهات بعد اختطاف أبنائهن. حيث اعتمدنا على المنهج العيادي ذو التصميم المبني على دراسة حالة. أما بالنسبة لأدوات الدراسة فقد استعملنا كل من المقابلة العيادية نصف موجهة واستبيان جودة الحياة. وشملت مجموعة الدراسة حالتين، ومن خلال تحليل نتائج الدراسة وجدنا أن جودة الحياة ضعيفة عند الحالة الثانية. ومستوى حسن إلى متوسط لجودة الحياة عند الحالة الأولى. وفي الأخير نرى أنه من الضروري التكفل بهؤلاء الأمهات، والأطفال المخطوفين ومساعدتهم على تحسين نوعية حياتهم، وتوظيف أساليب تفكير ايجابية.

**الكلمات المفتاحية:** جودة الحياة- اختطاف الأطفال- العلاقات الأسرية- اختفاء الأطفال القصر- نوعية الحياة.

## Qualité de la vie familiale Chez la mère après l'enlèvement de son enfant « étude de terrain »

**D .Miloudi Hassina**

**Université de Akli Mohend Oulhadj- Bouira**

**zeg.radia4@gmail.com**

**Résume :** Cette étude porte sur la qualité de la vie familiale chez la mère dont l'enfant a été enlevé, et vise à connaitre l'impact de la qualité de vie chez les mères après l'enlèvement de leurs enfants. Dans cette étude nous nous sommes appuyés sur la méthode de conception Clinique basée sur l'étude de cas. Les outils d'étude utilisés sont : l'entretien Clinique semi dirigé et le questionnaire de qualité de vie, sur deux cas Cliniques.

En analysant les résultats de l'étude nous avons constaté une mauvaise qualité de vie chez le premier cas, et un bon niveau de qualité de vie chez le deuxième cas. Il est donc nécessaire de prendre en charge ces mamans et leurs enfants, et les aider à améliorer leur qualité de vie.

**Most clés :** Qualité de vie – l'enlèvement des enfants – relations familiales – disparition des mineurs.

**إشكالية الدراسة:**

انتشرت ظاهرة "اختطاف الأطفال" وتحولت لحالة من الرعب عند العائلات الجزائرية، حيث أرجع بعض الباحثين السبب للمتاجرة بالأعضاء البشرية والاعتداءات الجنسية، أو لطلب فدية أو نتيجة نزعة سلبية عند صديق أو أحد أفراد العائلة انتقاماً من أولياء الطفل، هذا ما يؤثر على طبيعة العلاقات داخل الأسرة وكيفية تقبلها لهذا الحدث المؤلم، مما يُحدث خلل في الحياة الأسرية لعائلة الطفل المفقود ويؤثر على نوعية حياة الأم وجودتها. وشهدت حالات اختطاف الأطفال بالجزائر ازديادا مخيفا في السنوات الأخيرة، حيث أصبحت هذه الأخيرة تحتل المراتب الأولى من بين الدول العربية (مصابيح، 2014)، خاصة الأطفال الذين تتراوح أعمارهم ما بين 4 و 16سنة، وهي ظاهرة تهدد مجتمعنا لما لها من تداعيات ونتائج سلبية على حياة الفرد، حيث خلقت خوفا ورعبا بين الأسر الجزائرية واستنفارا من الرأي العام. ومنذ سنوات عدة تعاني الأسر الجزائرية من هذا الكابوس، حيث أصبحت تعيش حالة من الخوف الدائم والمستمر، نتيجة سلسلة حالات الاختطافات التي طالت الأطفال الصغار والقصر، بهدف الاغتصاب أو سرقة الأعضاء أو الانتقام وغيرها. وكثيراً ما يسمع الناس من خلال وسائل الإعلام والتقارير الأمنية أخبار العثور على أطفال فارقوا الحياة، فزادت المشاكل العائلية والنفسية عند الآباء والأمهات على وجه الخصوص، حيث أصبحوا يخرجون مع أبنائهم للمدارس ويكلفون من يرافقهم إلى أي مكان في حالة عملهم أو انشغالهم بأمور أخرى، هذا ما زاد من شدة الضغوط النفسية وأثر كثيرا على نوعية الحياة التي تعيشها الأمهات، جراء سماعهم لأحداث الاختطاف المختلفة، فما بالك إذا كانت هذه الأم تعرضت لهذا الحدث وعاشت اختطاف ابنها أو ابنتها، دون أن تسمع أي خبر عنه، أو حتى العثور عليه لكن بعد اغتصابه والتنكيل به. هذا ما جعلنا نتجه إلى دراسة جودة أو نوعية الحياة عند هؤلاء الأمهات.

ويندرج موضوع جودة الحياة ضمن تيار جديد في علم النفس والذي يعرف بعلم النفس الايجابي، إذ يتناول موضوع السعادة والتفاؤل والأمل والثقة بالنفس. ويهدف إلى إبراز الجوانب الايجابية ومكامن القوة في شخصية الفرد (عكاشة وسليم، 2010، ص.33).

والمعروف أنه كلما تحقق الرضا والسعادة والتوافق عند الأفراد في حياتهم، كلما تحققت الصحة النفسية. خاصة في ظل التغيرات والمشاكل التي تواجهها الأسرة الجزائرية، مثل ظاهرة اختطاف الأطفال التي تعيق سير حياة الشخص بطريقة عادية وتحد من طموحاته. وإذا قلنا السند العاطفي في الأسرة يذهب تفكيرنا مباشرة إلى الأم فهي الحضن الدافئ والملاذ الآمن للأطفال والزوج أيضا، وبدونها تتفكك الروابط الأسرية وبمرضها أو غيابها تفقد الأسرة معاني الحب والدفء والرعاية. فهي التي تتحمل العبء الأكبر في الحماية والرعاية والاحتواء وتربية الأبناء، لهذا فإن تعرضها لأي نوع من الضغوط والصدمات النفسية يهز بناء الأسرة وكيانها كله. إذ تصبح الأم عاجزة عن حسن إدارة بيتها والتكفل بأبنائها.

وتعتبر ظاهرة الاختطاف صدمة حقيقية بالنسبة للأم وباقي أفراد الأسرة، ولقد اكتسحت هذه الظاهرة الشارع الجزائري مؤخرا، حيث أصبحنا نسمعها ونتعايش مع وقائعها عبر مختلف وسائل الإعلام. وجرائم خطف الأطفال بدأت منذ زمن طويل وإن كانت بداياتها لأسباب شخصية، بدافع الغيرة مثلا أو للحصول على ميراث أو ما شبه، والآن تمتلئ الصحف بأخبار اختطاف الأطفال واكتشاف عصابات ومنظمات تدير مثل هذه العمليات لأهداف مختلفة. وفي هذا الشأن وقفت مصالح الدرك الوطني خلال خمسة أشهر الأولى من سنة 2016، على معالجة العديد من هذه القضايا عبر ربوع الوطن (المديرية العامة للأمن الوطني، إحصائيات حول اختطاف الأطفال، 2016).

حيث أصبح عديمي الضمير يستغلون هذه الفئة لتشكيل عصابات أشرار لخطفهم، ومساومة أوليائهم وتهديدهم بالقتل ويجبرونهم بالمقابل على تقديم فدية لهم قيمتها المالية تفوق الخيال، دون التفريق بين المواطن البسيط والغني. ونجد حالات أخرى يلجئون لخطف الأطفال الصغار من أجل تلبية نزعة جنسية حيوانية عندهم، وبعد القيام بفعل الاغتصاب يقتلون الطفل ويرمون جثته. وكثيرا ما نضن أن الضحية الوحيدة هي الشخص المُعتدى عليه، في حين أن الاعتداء يحصل على العائلة بأكملها وقد يدمر كل أفرادها، وله انعكاسات في كل الاتجاهات سواء كانت النفسية أو العاطفية خاصة الأم. ويبقى الطفل هو الضحية الأولى والأساسية في غياب الإحاطة النفسية وتعدد هذه الممارسات وغياب المتابعة القانونية الصارمة للمجرمين. ومن هذا المنطلق تبلورت تساؤلات الدراسة:

**- تساؤلات الدراسة:**

1- هل تتأثر جودة الحياة الأسرية عند الأم بغياب أحد الأبناء بسبب الاختطاف؟

2- كيف يكون تأثير حدث الاختطاف على جودة الحياة الأسرة عند الأم؟

**- فرضيات الدراسة:**

1- تتأثر جودة الحياة الأسرية عند الأم بغياب أحد الأبناء بسبب الاختطاف.

2- يختلف تأثير الاختطاف على جودة الحياة الأسرية باختلاف جنس الطفل المخطوف.

**- أهداف الدراسة:**

- تهدف هذه الدراسة لمعرفة مدى تَأثُرْ نوعية أو جودة الحياة عند الأمهات بعد اختفاء أبنائهم.

- معرفة المشاكل النفسية والاجتماعية التي تظهر عند الأمهات بعد اختفاء أبنائهم، وهل هذا التأثر يختلف باختلاف جنس الطفل المختفي.

**- أهمية الدراسة:**

- تكتسب هذه الدراسة أهميتها من خلال الموضوع الذي تناولته حول جودة الحياة الأسرية عند أمهات الأطفال اللواتي اختفى أبنائهم أو تعرضوا للاختطاف.

- قد يساهم ما تخرج به الدراسة من نتائج في فهم الظاهرة ومسبباتها الأساسية، وتوعية الأهل بضرورة أخذ الحيطة والحذر في طرق تعاملهم مع أبنائهم.
- إلقاء الضوء على أهم المشاكل النفسية والاجتماعية التي تعاني منها أمهات الأطفال المخطوفين، وكذا أفراد العائلة، هذا ما يسمح للأخصائيين النفسيين والاجتماعيين بتعديل طرق التدخل وتحسين التكفل بهم.

**- الإطار النظري للدراسة:**

**1- جودة الحياة:**

**1-1- تعريف جودة الحياة:** يرتبط مفهوم جودة الحياة بمجال جودة الحياة النفسية، ويشير دينير ودينير "أن جودة الحياة ببساطة شديدة هو تقويم الشخص لرد فعله للحياة، سواء تجسد في الرضا عن الحياة (التقويمات المعرفية)، أو الوجدان (رد الفعل الانفعالي المستمر) بظروف الحياة، ولمدى توافر فرص إشباع وتحقيق الاحتياجات (Diener et Diener, 1995, p. 165).

ويري جليمان واستربورك وفراي (2004) "إن جودة الحياة بالمعنى الكلي أو العام تنظم وفقا لميكانيزمات داخلية، وبالتالي يتعين على الباحثين التركيز على المكونات الذاتية لجودة الحياة، بما تتضمنه من التقرير الذاتي عن الاتجاه نحو الحياة بصفة عامة، تصورات وإدراك الفرد لعالم الخبرة الذي يتفاعل فيه نوعية ومستوى طموحاته.

وتعرف منظمة الصحة العالمية (1995) "جودة الحياة على أنها إدراك الفرد لوضعه في الحياة، في سياق الثقافة وأنساق القيم التي يعيش فيها، ومدى تطابق ذلك مع أهدافه، توقعاته، قيمه واهتماماته المتعلقة بصحته البدنية، حالته النفسية، مستوى استقلاليته، علاقاته الاجتماعية، اعتقاداته الشخصية وعلاقته بالبيئة بصفة عامة.

ومما سبق نستنتج أن جودة الحياة هي تقييمات الفرد الذاتية لظروف حياته، خاصة منها جوانب الحياة النفسية، والتي تظهر على شكل تقدير ايجابي للذات وزيادة الاتزان الانفعالي وحب الحياة وتقبل الآخرين.

**1-2- مجالات وأبعاد جودة الحياة:** حسب وصف كاريج جاكسون (Craige,A,Jackson,2010) لأبعاد ومجالات جودة الحياة الذي صاغه تحت مسمى الثلاثية the 3 B's وهي على النحو التالي:

(أ) الكينونة.

(ب) الانتماء.

(ت) السيرورة.

ويوضح الجدول الموالي التفاصيل والمكونات الفرعية لهذه المجالات.

**جدول رقم (1): يمثل مجالات وأبعاد جودة الحياة**

| المجال | الأبعاد الفرعية | الأمثلة |
|---|---|---|
| الكينونة أو الوجود | الوجود البدني | (أ)- القدرة البدنية على التحرك وممارسة الأنشطة الحركية اليومية.<br>(ب)- أساليب التغذية وأنواع المأكولات المتاحة. |
| | الوجود النفسي | (أ)- التحرر من القلق والضغوط.<br>(ب)- الحالة المزاجية العامة للفرد (إنتاج عدم إنتاج). |
| | الوجود الروحي | (أ)- وجود أمل في المستقبل (الاستبشار).<br>(ب)- أفكار الفرد الذاتية عن الصواب والخطأ. |
| الانتماء | الانتماء المكاني | (أ)- المنزل أو الشقة التي أعيش فيها.<br>(ب)- نطاق الجيرة التي تحتوي الفرد. |
| | الانتماء الاجتماعي | (أ)- القرب من أعضاء الأسرة التي أعيش معها.<br>(ب)- وجود أشخاص مقربين أو أصدقاء (شبكة علاقات اجتماعية قوية). |
| | الانتماء المجتمعي | (أ)- توافر فرص الحصول على الخدمات المهنية المتخصصة (طبية، اجتماعية).<br>(ب)- الأمان والاكتفاء المالي. |
| السيرورة | الصيرورة العملية | (أ)- القيام بأشياء حول منزلية.<br>(ب)- العمل رفي وظيفة أو الذهاب إلى المدرسة. |
| | السيرورة الترفيهية | (أ)- الأنشطة الترفيهية الخارجية (نزهة رياضية).<br>(ب)- الأنشطة الترفيهية داخل المنزل. |
| | السيرورة التطورية | (أ)- تحسين الكفاءة البدنية والنفسية.<br>(ب)- القدرة على التوافق مع تغيرات وتحديات الحياة. |

نستنتج من خلال الجدول الموضح أعلاه أن جودة الحياة هي وعي الفرد بتحقيق التوازن والرضا، بين جوانب الحياة الجسمية والنفسية والاجتماعية لتحقيق الرضا عن الحياة والاستمتاع بها. ويكون ذلك في المجال الجسمي والنفسي من خلال قدرة الفرد على التحرك والممارسة الرياضية النشط التي تؤدي إلى نوع من الراحة النفسية التي تحرر الفرد من القلق والتوتر. وكذلك قدرته على بناء علاقات اجتماعية ومهنية موجبة تعكس سلامته النفسية من خلال سيرورة الأنشطة الترفيهية داخل وخارج المنزل وقدرته على التوافق الشخصي والنفسي.

**3-1- أبعاد مفهوم جودة الحياة:**

قدم فلسي وبيري (1990) Felce et Perry نموذج ثلاثي العناصر لجودة الحياة هي:

1- ظروف الحياة.

2- الرضا الشخصي عن الحياة.

3- القيم الشخصية والطموح الشخصي.

وتتحقق جودة الحياة لتوفر عاملين أساسيين هما:

أ- القدرة أو عدم القدرة على التوافق، والمواجهة والتفاعل الاجتماعي الايجابي مع ظروف الحياة وأحداثها الايجابية والسلبية. والمخطط التالي يوضح جودة الحياة في إطار النموذج العام للضغوط النفسية حسب بريان كيمب (Bryan Kemp,2010).

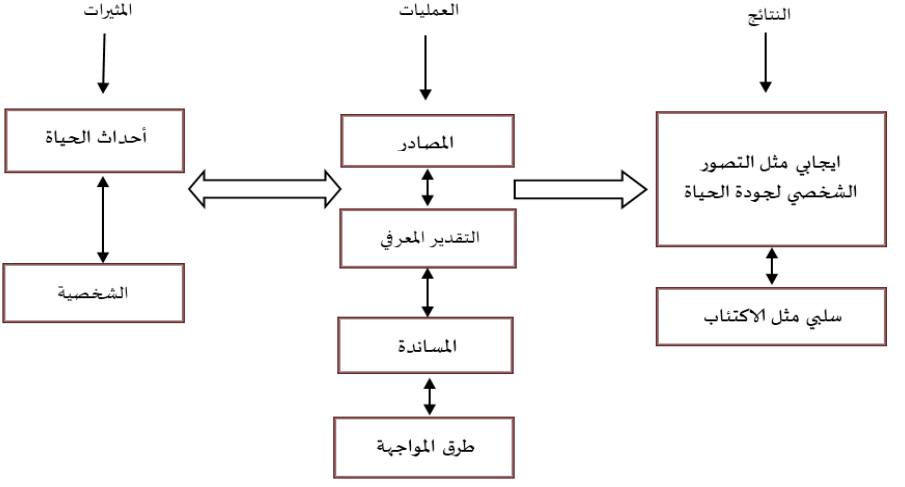


**مخطط رقم (1): يوضح جودة الحياة في إطار النموذج العام للضغوط النفسية حسب بريان كيمب (Bruan Kemp, 2010)**

يتضح لنا من خلا المخطط أنه كل ما كان التقدير المعرفي والمساندة وطرق المواجهة إيجابية في التعامل مع أحداث الحياة اليومية والشخصية كلما أعطتنا تصور ايجابي لجودة الحياة وكلما حدث العكس دخل الفرد في متاهة التوتر وعدم القدرة على المواجهة وبالتالي الإصابة بالأمراض النفسية مثل الاكتئاب.

ب- القيام أو عدم القيام بأنشطة مقدرة ايجابيا تدفع/ تبعد الفرد عن اتجاه تحقيق/عدم تحقيق أو إشباع حاجاته وتحقيق ذاته. ومن خلال العاملين السابقين نستنتج متصل جودة الحياة التالي:

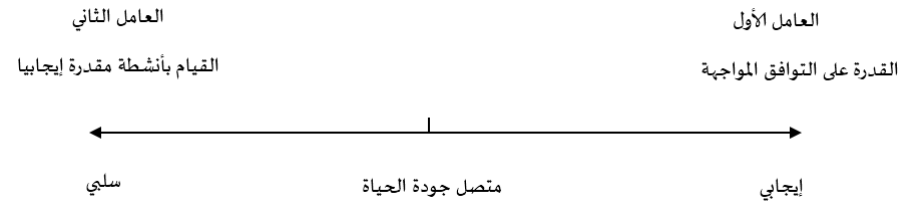


**مخطط رقم (2): يوضح متصل جودة الحياة**

**1-4- الاتجاهات النظرية المستخدمة في وصف وتفسير جودة الحياة:**

1- الاتجاه الفلسفي. 2- الاتجاه الاجتماعي. 3- الاتجاه الطبي. 4- الاتجاه النفسي

ونحن في هذه الدراسة سوف نركز على الاتجاه النفسي، والذي يهتم بدراسة العلاقة الانفعالية بين الفرد وبيئته، حيث يحاول معرفة مدى استمتاع الفرد بالظروف المادية في البيئة الخارجية، والإحساس بحسن الحال وإشباع الحاجات والرضا عن الحياة وإدراك الفرد لمضمون حياته وشعوره بمعناها إلى جانب الصحة الجسدية.

**1-5- مقومات جودة الحياة وفق منظمة الصحة العالمية:**

- **الصحة الجسدية:** هي القدرة على القيام بوظائف الجسم الدينامكية وسلامته، مثل اللياقة البدنية.

- **الصحة النفسية:** القدرة على التعرف على المشاعر والتعبير عنها، وشعور الفرد بالسعادة والراحة النفسية دون اضطراب أو تردد.

- **الصحة الروحية:** هي صحة تتعلق بالمعتقدات والممارسات الدينية، للوصول إلى الرضا مع النفس.

- **الصحة العقلية:** وهي صحة تتعلق بالقدرة على التفكير بوضوح وتناسق، والشعور بالمسؤولية والقدرة على حسم الخيارات واتخاذ القرارات وصنعها.

- **الصحة الاجتماعية:** هي القدرة على إقامة علاقات اجتماعية مع الآخرين والاستمرار بها والاتصال والتواصل مع الآخرين واحترامهم (بوعيشة، 2014، ص .12).

**1-6- معوقات جودة الحياة:** هناك مجموعة من الظروف والمعوقات التي يمر بها الفرد في حياته اليومية، يمكن أن تحول دون تحقيق سعادة الفرد، وبالتالي تؤثر على نوعية الحياة عنده. والتي سوف نقوم بعرضها من خلال الجدول الموالي.

**جدول رقم (2): منغصات/معوقات، إمكانيات/ قدرات تحقيق جودة الحياة لـ(عبد المعطي، 2005، ص25).**

| | المنغصات/ المعوقات | الإمكانيات/ القدرات |
|---|---|---|
| **الظروف الداخلية** | المرض - الإعاقات المختلفة<br>الخبرات الحياتية السلبية والمؤلمة | المهارات - الخبرات الحياتية الايجابية<br>الحالة المزاجية الذهنية الايجابية<br>روح الدعابة، المزح والمرح |
| **الظروف الخارجية** | نقص المساندة الاجتماعية والانفعالية<br>الظروف المعيشية أو الحياتية السيئة | توفر مختلف مصادر المساندة الاجتماعية والانفعالية وتعدد المانحين لها<br>توفر نماذج رعاية جيدة |

**2- ظاهرة اختطاف الأطفال**

**2-1- تعريف الاختطاف:**

- **لغة:** هي كلمة مأخوذة من الخطف وهو الاستلاب والاختلاس، يعني أخذ الشيء وانتزاعه بسرعة وقوة. ووردت هذه الكلمة في القرآن الكريم في العديد من الآيات مثل قوله تعال "ويتخطف الناس من حولهم" وقوله تعالى "يكاد البرق يخطف أبصارهم". والملاحظ للتعريف السابق يستنتج أن التحديد اللغوي للاختطاف يقوم على الأخذ والسلب السريع.

- **اصطلاحا:** هو أخذ طفل دون الثامنة عشر من العمر واحتجازه واعتقاله بصفة مؤقتة أو دائمة باستعمال القوة والتهديد والخداع (تقرير الأمم المتحدة، 2013 ص .10).

- **قانونيا:** حسب المادة 326 من قانون العقوبات الجزائري التي جاء في نصها "كل من خطف قاصرا لم يكمل الثامنة عشرة وذلك تحت التهديد أو تحايل أو شرع في ذلك فيعاقب بالحبس لمدة سنة إلى خمس سنوات وبغرامة مالية من 500 إلى 2000 دج وهنا لابد من توفر عنصرين.

**أ- الضحية:** تشترط المادة 326 أن تكون الضحية قاصرا لم تكتمل الثامنة عشر، ولا يهم إن كانت ذكر أو أنثى.

**ب- المظاهر المادية:** يشتمل فعل الخطف أو الابتعاد بدون عنف أو تهديد أو تجاهل.

ودفع انتشار ظاهرة الاختطاف السلطات إلى تعديل قانون العقوبات في عام 2013، والذي أصبحت بموجبه عقوبة الاختطاف تصل إلى عشرين سنة سجن، قد تصل حد عقوبة الإعدام إذا تعرض المخطوف لعنف جنسي أو جسدي وتنكيل بجثته.

يتضح مما سبق أن الاختطاف هو أخذ الأطفال الذين تقل أعمارهم عن سن الرشد القانوني، من عهدة الآباء الطبيعيين أو الأوصياء عليهم عنوة. وإلحاق الأذى المعنوي والجسدي بهم.

**2-2- خصائص وأغراض جريمة الاختطاف:** تختلف أغراض وخصائص جريمة الاختطاف باختلاف الأهداف المرجوة منها وذلك حسب مايلي:

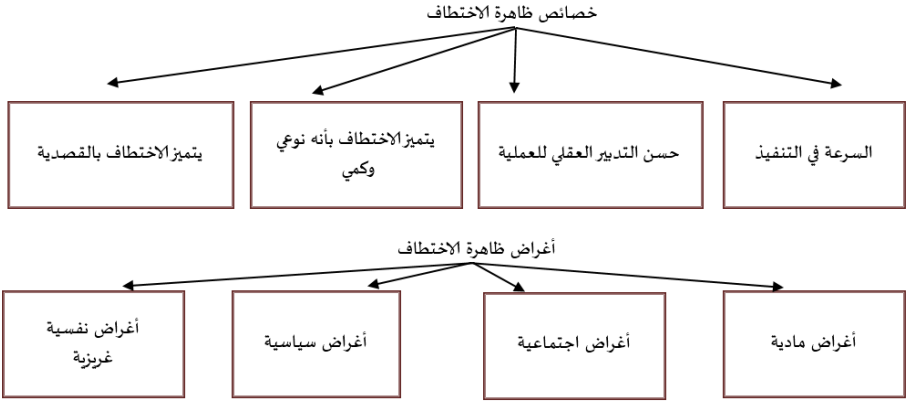


**مخطط رقم (3): يوضح خصائص وأغراض جريمة اختطاف الأطفال**

**2-3- تفسير ظاهرة اختطاف الأطفال من خلال نظرية ناي Nye Yan, F:** حدد ناي مدخلين لدراسة الانحراف والإجرام وهما:

- **المدخل الأول:** هو نوع من السلوك المنحرف، ناشئ عن دوافع معينة.
- **المدخل الثاني:** سلوك المنحرف يحدث نتيجة غياب الضوابط، أو إذا كانت الضوابط غير مؤثرة.

فحسب ناي هناك مجموعة من ميكانزمات الضبط الاجتماعي والتي نجد منها المباشرة، التي تفرض من الخارج بوسائل العقاب المختلفة ووضع القيود، ومنها الغير مباشرة والتي تمارس من خلال الوعي الذاتي عند الفرد. وإذا حاولنا تفسير ظاهرة اختطاف الأطفال حسب نظرية الضبط الاجتماعي، التي تعتبرها ظاهرة منافية ومخالفة لقيم المجتمع والمبادئ والدين، وبالتالي الجاني أو المختطف يقوم بهذه العملية لإشباع رغبات جنسية شاذة، أو تحقيق مكسب مادي جراء طلب فدية أو يكون نتيجة للانتقام من أهل الضحية أو لنزع أعضائه البشرية والمتاجرة بها.

كما أن قيام الجاني بعملية الاختطاف يكون في ظل غياب وضعف وسائل ومؤسسات الضبط الاجتماعي عن القيام بدورها سواءً كان الضبط غير مباشر، ويتمثل في عجز أو فشل الوالدين والأسرة على احتواء الفرد، وبالتالي غياب روابط المحبة والتعاطف بين أفراد الأسرة. فإذا فشلت الأسرة في تكوين هذه الروابط هنا تبدأ تتشكل أول الخطوات نحو الجريمة والانحراف (مصلح، 2004).

**2-4- العوامل النفسية المفسرة لظاهرة اختطاف الأطفال:**

**2-4-1- العوامل النفسية والاجتماعية الخاصة بالجاني:** الشخص الذي يقدم على فعل الاختطاف، يكون مصاب بأمراض واضطرابات عاطفية أو خلل عقلي، أو ضغط نفسي كما يمكن أن يكون مصاب بالاكتئاب والإحباط. فتتكون لدى المختطف تصورات ذهنية تدفعه إلى ارتكاب جريمة الاختطاف، وما نلاحظه أن جرائم الاختطاف التي تكون تحت تأثير العامل النفسي يرتكبها الجاني بمفرده دون مساعدة.

كما يعتبر الانتقام من الأسباب الرئيسية في خطف الأطفال، بحكم أن الطفل يكون أقل مقاومة وأكثر ضعفا، وقد يكون وراء ظاهرة الاختطاف إشباع الغرائز الجنسية، وهذا ما أكدته الإحصائيات أن معظم الأطفال المخطوفين يتم العثور على جثثهم معتدى عليها جنسيا.

كما أن تفكك أسرة الجاني بسبب النزاع بين الوالدين أو الانفصال وتدني المستوى المعيشي للعائلة يمكن أن يكون سببا رئيسيا للانحراف وارتكاب جريمة الخطف.

**2-4-1- العوامل النفسية والاجتماعية الخاصة بالضحية "الطفل":** إن ما يميز مرحلة الطفولة قلة الوعي والإدراك، هذا ما يجعل الطفل فريسة سهلة بالنسبة للمختطف، ويسهل خداعه والتغرير به، كما أن نقص الاهتمام والعناية داخل الأسرة يمكن أن تجعل الطفل يخرج للشارع، وكثيرا ما يرافق أصدقا السوء هذا ما يجعله يترك المنزل أو يختفي لأسباب متنوعة، وفي بعض الأحيان تكون الأسباب مجهولة (الحربي، 2011، ص.5).

**2-5- الآثار السلبية لاختطاف الأطفال:**

- ضعف الثقة بالنفس.
- الشعور بالإحباط والقلق والميل إلى العدوان.
- الشعور بالعجز والصراع الداخلي، خاصة اللذين يتعرضون للاغتصاب والتحرش الجنسي.
- صدمة الإساءة التي تتبدى أثارها فيما يعرف باضطراب ضغوط ما بعد الصدمة عند الأطفال. على شكل الأعراض التالية (- الخوف الشديد - الهلع والسلوك المضطرب - وجود صور ذهنية وادراكات أو ذكريات متكررة وملحة عن الصدمة - الأحلام المزعجة (الكوابيس) أثناء النوم - السلوك الانسحابي – الاستثارة الزائدة – صعوبة التركيز وغيرها من المشكلات).

**2-6- اختطاف الأطفال في الجزائر (الأرقام الرسمية تنذر بالكارثة):** أشارت أرقام رسمية إلى أنه في سنة 2000 تم تسجيل 28 حالة اختطاف خلال شهر واحد. كما تم الاعتداء أو قتل 367 طفل، واختفاء 841 طفل ما بين 2001 وبداية سنة 2002 تتراوح أعمارهم ما بين 4 و16 سنة. وأحصت أكبر نسبة سنة 2002 باختطاف 117طفل من بينهم 71 طفلة، ليرتفع عدد المختطفين في 2004 حيث بلغ 168 طفل.

وعمليات الخطف هذه عادة ما تقوم بها شبكات إجرام منظمة، تطلب فدية من عائلة الطفل، مقابل تسليمه في المناطق المهجورة، وقد شهدت عمليات اختطاف أخرى نهايات مأساوية، كاغتصاب

الأطفال ثم قتلهم ورميهم، حيث تم تسجيل حوالي 20 حالة اختطاف من هذا القبيل عام 2008. وهناك من تعرضوا للاغتصاب وتم العثور عليهم أحياء لكن مع مخلفات جسدية ونفسية خطيرة جدا. وسجلت مصالح الشرطة حالات الاختطاف هذه في المدن الكبرى وتأتي في مقدمتها الجزائر العاصمة ووهران وعنابة.

في سنة 2007 أشارت إحصاءات الشرطة إلى حدوث 632 اعتداء، بينما وصلت حصيلة فرضية الخطف والاغتصاب إلى 1546 حالة، ومعظم الواقفين وراء هذه الحالات لم يكونوا غرباء عن الطفل، بل غالبا ما يكونون من أقاربهم.

- **إجراءات الدراسة الميدانية:**

**1- منهج البحث:** تم الاعتماد على المنهج العيادي ذو التصميم المبني على دراسة حالة، فهو يسمح بالملاحظات الدقيقة والمستمرة للحالات، وهو المنهج الذي يتناسب مع موضوع البحث. يعرف الباحث "Perron" هذا المنهج بأنه الطريقة التي تسمح بمعرفة وفهم الجانب النفسي للفرد ويهدف إلى تكوين بنية واضحة على الحوادث النفسية التي يكون مصدرها الفرد نفسه (Perron, 1979, p 38). وقد تم الاعتماد على طريقة دراسة الحالة لأنها تساعدنا على جمع أكبر قدر من المعلومات، وقد عرفها **جونز"Jonz"** بأنها: تشمل على الفحص الطبي النفسي والصحة العامة والنواحي الدراسية والعقلية والصحة والتطور الأسري والاجتماعي للحالة.

**2- أدوات الدراسة:** استعملنا في هذه الدراسة أداتين أساسيتين هما المقابلة العيادية النصف موجهة واستبيان جودة الحياة مصمم من طرف الباحثة وفي مايلي سيتم التفصيل في كل أداة على حدي

**2-1- المقابلة العيادية النصف موجهة:** يمنح هذا النوع من المقابلة نوع من الحرية في التعبير عند المفحوص كما أننا نستطيع من خلالها التحكم في سير المقابلة وتجنب الخروج عن الموضوع.

ويعرفها محمد دويدار (1996) "المقابلة تسمح للمفحوص بالتحدث بنوع من الحرية وتدخل الأخصائي يكون فيها توجيهي عندما يلاحظ خروج المفحوص عن الموضوع، لكن يجب أن يترك له الحرية في الكلام. وتكونت المقابلة العيادية النصف موجهة من 3 محاور أساسية هي:

- محور الخاص بالمعلومات الشخصية والمحيط العائلي.
- محور خاص بنوع العلاقات الاجتماعية والعاطفية بين أفراد الأسرة.
- محور خاص بالحالة النفسية للام (الصحة النفسية والجسدية) وطريقة معايشتها لحدث الاختطاف.

حيث اشتمل كل محور على أربع أسئلة تخدم الموضوع وتترك فيها الحرية للمفحوص في الإجابة مع توجيهه في حالة خروجه عن الموضوع.

**2-2- استبيان جودة الحياة (مخصص للعائلات الذين عايشوا حدث اختطاف أبنائهم):** تم تصميمه من طرف الباحثة في إطار بحث ميداني حول عائلات تعرض أبنائهم للاختطاف وتكون الاستبيان من ثلاث أبعاد أساسية هي:

- بعد الصحة الجسدية الذي يتكون من 10 عبارات.
- بعد الصحة النفسية والانفعالية 18 عبارة.
- بعد العلاقات الأسرية والاجتماعية 12 عبارة.

حيث تكون الاستبيان في النهاية من 40 عبارة أو سؤال كلها سلبية واعتمدنا على سلم التصحيح التالي:

- إذا تحصل المفحوص على 40 درجة أو أقل فهذا يعني أن لديه جودة حياة عادية أو حسنة.
- من 40 إلى 80 فهذا يعني أنه لديه جودة حياة متوسطة.
- من 80 إلى 120 جودة حياة ضعيفة أو مضطربة.

وقد اعتمدنا على ثلاث بدائل في الإجابة هي (قليل جدا – غالبا – وكثير جدا) وهذا لمعرفة درجة رضا الفرد بنوع وجودة حياته. يتم التصحيح كما يلي: تمنح 3 درجات في حالة كثير جدا و2 درجات في حالة غالبا ودرجة واحدة في حالة قليل جدا. لنخرج في النهاية بتحديد مستوي جودة الحياة عند الفرد.

**2-3- تقديم حالات الدراسة:** أجريت هذه الدراسة على حالتين:

**الحالة الأولي:** أم الطفل بدر الدين من ولاية البويرة

**معلومات حول الأم وعائلة الطفل:** السيدة صليحة أم لأربع أطفال وهم على التوالي: الطفل الأكبر الذي تعرض للاختطاف بدر الدين يبلغ من العمر 13 سنة، تم اختفاءه يوم 29 أفريل 2016 على مستوى بلدية عين بسام ولاية البويرة، ولم يتم العثور عليه إلى يومنا هذا. البنت الثانية فلة تبلغ من العمر 10 سنوات تدرس السنة الخامسة ابتدائي، البنت الثالثة فدوة تبلغ من العمر 5 سنوات تدرس بالقسم التحضيري، وأخيرا الابن الأصغر أحمد عبد الحق يبلغ من العمر 3 سنوات.

خرج الطفل بدر الدين لعموري بمفرده من المنزل متجها لإجراء دروس خصوصية في اللغة الانجليزية، ولم يعد للبيت منذ ذلك اليوم. تزامن خروج بدر الدين من المنزل مع مباراة كأس الجمهورية بتاريخ 30 أفريل 2016، بين اتحاد العاصمة ومولودية الجزائر، فحسب الأم التي قالت لنا أن أحد زملائه رأى عنده تذكرتين لدخول الملعب، تقول إن الاحتمال الأكبر هو ذهاب الطفل للجزائر العاصمة لمشاهدة المقابلة. بعد ذلك تلقت العائلة عدة اتصالات من عدت أطراف منهم من يقول إنه رآه بعد أربع أيام من مرور المقابلة، وذلك بمحطة خروبة البرية يطلب من يشترى له أكلا ويعطيه ثمن الذهاب إلى ولاية البويرة. ولم تتوقف العائلة إلى يومنا هذا عن البحث.

**الحالة الثانية:** أم الحالة ق- لمياء من ولاية باتنة

**معلومات حول الأم وعائلة الفتاة:** السيدة حدة ماكثة في البيت أم لثلاث بنات وولد، زوجها متقاعد ومصاب بمرض القلب، البنت الكبرى تبلغ من العمر 32 سنة متزوجة، الابن: يبلغ من العمر 30 سنة مهاجر، البنت الثانية تبلغ من العمر 28 سنة ماكثة في البيت، والبنت الصغرى التي تعرضت للاختطاف تبلغ من العمر 14 سنة.

التلميذة ق – لمياء تدرس في السنة الثالثة متوسط تبلغ من العمر 14 عشر سنة تم اختطافها يوم 21 ماي على مستوى ولاية باتنة، وتم العثور عليها في قرية من قرى الولاية 15 يوما بعد اختفائها، بعد أن بلغت عنها إحدى العائلات، لتعود إلى بيت العائلة يوم 5 جوان بعد أن اتصل بهم عناصر الشرطة القضائية، حيث بقيت في المستشفى لمدة 9 أيام، أين تلقت العلاجات اللازمة.

تعرضت لمياء لاعتداء جسدي عنيف جدا، حيت وجدت عدة ضربات بالسكين على مستوى الوجه والظهر واليدين، بالإضافة إلى اعتداء جنسي من طرف 3 شباب مجهولين الهوية ولم يتم العثور عليهم إلى يومنا هذا.

أكد الطبيب الشرعي أن الاعتداء حديث وتعرضت البنت لنوع من الكف عن الكلام. حاولت الانتحار مرتين عن طريق تناول مواد التنظيف، في المرة الأولى تم إجراء غسيل للمعدة وعادت البنت مع أمها للمنزل في نفس اليوم، دون أن يعرف بذلك حتى أفراد الأسرة المقربون. في المرة الثانية حاولت قطع أوعيتها الدموية على مستوى اليد. الأمر الذي استوجب بقائها بالمستشفى لمدة أسبوع حتى شفيت وتم عرضها على الأخصائي النفسي بالمصحة.

**- عرض وتحليل النتائج**

**1- عرض نتائج المقابلة العيادة النصف موجهة ونتائج استبيان جودة الحياة مع الحالة الأولي: أم بدر الدين**

**أ- تحليل مضمون المقابلة العيادية النصف موجهة: من** خلال تحليلنا لمضمون المقابلة مع أم بدر الدين، لحظنا نوع من الارتياح والتلقائية أثناء إجابتها على أسئلة المقابلة وفي بعض الأحيان، كانت تبكي لكن سرعان ما تجفف دموعها. حيث لاحظنا عند الأم مايلي:

- قلق وخوف، حيث قالت لحد الآن لا أستطيع تصديق ما جرى ولماذا خرج ابني من المنزل ولم يعد دون أي مشكل، وتضيف قائلة في بعض الأحيان أحس أن ما حدث كالحلم.

- عندما سألناها هل تشعرين بالرضا والسعادة في الحياة، قالت إن حياتها لم يعد لها معنى، خاصة وأنها تعيش في خوف وضغط شديد، وحالة من الرعب. تقول كلما يطرق أحد الباب أو يرن جرس الهاتف يذهب تفكيري مباشرة إلى ابني بدر الدين وأقول ربما هو. فالشهر الأول من غيابه تقول الأم أن قواها انهارت وأصبحت يوميا في المستشفى. لكن في الوقت الراهن تحسنت أحوالها، حيث تقول لا أصدق أنني استطعت أن أصبر على فراق ابني لمدة 9 أشهر، أنا صبورة والحمد لله، لا يوجد مكان سمعنا أنه مر به

ولم يذهب إليه أبوه أو أحد أفراد العائلة، طرقنا كل الأبواب لكن لا خبر لحد اليوم، بقي لنا أن نعلق أمالنا على الله سبحانه وتعالى عله يستجيب لدعواتنا.

- نلاحظ من خلال كلام الأم أنها مرت بمرحلة من الضغط والتوتر، وحالة من الصدمة وعدم الرضى، لكنها بدأت تتقبل الأمر تدريجيا، هذا ما جعل حالتها النفسية والجسدية تتحسن في الوقت الراهن، أحسن من الشهور الأولى من اختفاء ابنها، على الرغم من أنه مزال مفقود ومصيره مجهول.

- عندما سألناها هل تتلقين دعما وسندا من العائلة، قالت الحمد لله وقفوا بجانبنا أكثر مما كنت أتصور، خاصة أم الزوج بحكم الصلة الوثيقة بينها وبين الطفل المخطوف، وكذلك أعمامه وكل الجيران والأصدقاء. لكن في الوقت الحالي تضيف قائلة تناسوا القضية نظرا لمرور عدة أشهر دون ظهور ابني. أصبح اهتمامهم الآن محصور في الجانب المادي ماذا تحتاجين من ملابس للأولاد؟ أو أكل وغيرها من الحاجات اليومية. لكن ما أحتاجه منهم هو سند عاطفي الشعور بنوع من الحب والتعاطف والتآزر، خاصة في بعض الأيام والمناسبات. تضيف قائلةً: مر علينا شهر رمضان والعيدين فلم نذق طعم الفرح فيهم، وكنت أتأمل كثيرا أن يعود ولدي، كنت أحاول أن أقنع نفسي انه فصل الصيف والخريف والجو دافئ يمكنه أن يعيش في الشارع، لكن عند ما يصل فصل الشتاء سيعود حتما إلى البيت. وكم تعذبت وبكيت بمرارة في الأسابيع الماضية أين تساقطت الثلوج، وكان البرد قارص والله أن الحياة اسودت في وجهي ولم تعد لدي رغبة لا في الأكل ولا في النوم ولا في أي شيء آخر.

- من خلال كلام الحالة نلاحظ أنها عانت كثيرا في الأشهر القليلة الماضية، لأنه كان لديها أمل كبير أن ابنها سيعود إلى المنزل عندما يشتد الشتاء، وتنخفض درجة الحرارة. وبالتالي فإن عدم عودته في تلك الفترة ولد لديها نوع من الصدمة وخيبة الأمل، وسيطرت عليها الأفكار السلبية والحزن من جديد. كانت معاناتها النفسية تزداد وتشتد ليلا كلما أوت إلى فراشها.

تضيف قائلة الحمد لله أن زوجي كان قوي ولم ينهار مثلي في بداية الأمر، والدليل على ذلك أنه واصل البحث ولم يترك عمله، وكان يفتح محله يوميا، كما أنه لم يترك ولاية من ولاية الجزائر جاءه منها خبر ظهور بدر الدين فيها، ولم يذهب ويبحث فيها. تضيف قائلة: بقي يلازم مزاحة ولعبه مع أبناءه المتبقين كي لا يحسسهم بغياب أخيهم. وفي الحقيقةً العلاقة بيني وبينه أصبحت أقوى مما كانت عليه من قبل، لهذا أعطاني دفعة قوية كي أعود لحياتي السابقة وأهتم بباقي أبنائي، وأنجز كل أعمالي المنزلية دون تعب أو ملل، بل على العكس كلما قمت بأعمال المنزل والطبخ والتنظيف وتدريس الأبناء كلمات أحسست بالراحة النفسية.

من هنا نقول إن المعاش النفسي عند الحالة كان جيد نظرا للدعم والمساندة التي تلقتها من زوجها وأفراد عائلتها.

من خلال ما سبق يتضح أن هذه الأم لديها نظرة تفاؤل للمستقبل بعد هذا الحدث، حيث أنها تشعر بأن ابنها سيعود في يوم من الأيام.

**ب- تحليل نتائج مقياس جودة الحياة:**

**جدول رقم (3): يمثل الدرجات التي تحصلت عليها الحالة الثانية في استبيان جودة الحياة**

| الأبعاد الثلاثة الخاصة بالمقياس | بعد جودة الصحة الجسدية | بعد جودة الحالة النفسية والانفعالية | بعد العلاقات الأسرية والاجتماعية | المجموع الدرجات الكلية |
|---|---|---|---|---|
| الدرجات الخاصة بكل بعد | 23 درجة | 35 | 20 | 120/ 77 |

يتضح لنا من خلال الجدول أن الحالة الأولى وهي أم الطفل بدر الدين، تحصلت على أعلى درجة من عدم الرضا في بعد الحالة النفسية والانفعالية، وكانت أصغر درجة في بعد العلاقات الأسرية والاجتماعية، ومن خلال نتائج الاستبيان تبين أن الحالة ظهر لديها بعض الأعراض السيكوسوماتية بعد اختطاف ابنها مثل زيادة ضربات القلب صعوبات النوم وفقدان الشهية. بالإضافة إلى الشعور بالقلق والخوف والتوتر، مما يولد لديها رغبة في الخروج من البيت والشعور بالحزن. كما أن نتائج الاستبيان أظهر أن العلاقات الأسرية والاجتماعية جيدة خاصة من طرف الزوج وعائلته وبعض الجيران. بالإضافة إلى ذلك فإن النظرة للمستقبل كان فيها نوع من التفاؤل، من خلال قول الحالة أن لديها شعور بأن ابنها سيعود في يوم من الأيام.

وإذا أردنا أن نقيم جودة الحياة الأسرية من خلال ما ورد في المقابلة ونتائج المقياس، مع أم بدر الدين نجد أن مستوى العلاقات الأسرية جيد خاصة مع الزوج والذي جعلها تتجاوز مرحلة الصدمة بعد اختطاف ابنها بصورة إيجابية.

**2- عرض نتائج المقابلة العيادة النصف موجهة ونتائج استبيان جودة الحياة مع أم الحالة الثانية:**

**أ- تحليل مضمون المقابلة العيادية النصف موجهة: خلال** قيامنا بالمقابلة مع السيدة حدة، لاحظنا نوع من الحزن وكثرة الكف والتوقف عن الكلام لمدة من الزمن ثم تواصل، وكانت مرتبكة نوعا ما أثناء حديثها معنا. وبعد تحليل مضمون المقابلة توصلنا إلى مايلي:

- معاناة نفسية كبيرة عند الأم والتي ظهرت من خلال طريقة كلامها والتي توحي بالحزن والأسى، والدموع التي لم تفارق عينيها طوال إجراء المقابلة.

- فقدان الأمل في الحياة وعدم شعورها بالرضا، حيث ظهر ذلك من خلال قولها "إني أتمنى الموت على أن أكون فرجة لجيراني وأقاربي"، وتضيف قائلة لم تعد لدي رغبة في الحياة، الزوج مريض في الفراش، والابن مهاجر والبنات حتى الزواج لم يكن لهن نصيب فيه، لم أحقق شيء في حياتي.

- ظهر المعاش السلبي عند الحالة وكثرة الإحباط، وعبئ المسؤولية التي تتحملها في غياب سند الزوج بسبب المرض. حيث تقول أنا بمفردي لم أستطع التحكم في الظروف المعيشية للعائلة، وما زاد ألمي هوما حدث لابنتي التي تم الاعتداء عليها واغتصابها، ولا يوجد أحد يدافع عنها أو يبحث عن المجرمين، فنحن ننتظر أن يأخذ الله بيدنا.

وهنا نفسر الم الأم بسبب ما حدث لابنتها من جهة، وبسبب غياب دور الأب المريض من جهة أخرى، والمعروف أن وجود الأب له أهمية كبرى في جودة الحياة الأسرية عند الأم، وذلك من خلال الدعم والمساندة التي يقدمها لها، حيث كلما ارتفعت جودة الحياة عند الأمهات كلما انخفضت المشاكل النفسية والعائلية، وكلما استطاع الفرد إشباع حاجاته النفسية والبيولوجية. فإذا نجحت الأم في علاقتها الأسرية مع أبنائها وزوجها، وشعورها بالرضا والسعادة، يولد لديها ذلك صحة نفسية وشعور بالارتياح، فينعكس على حياتها ومعاملتها لأبنائها.

كما أن أم لمياء تقول إن حدث الاعتداء على ابنتها جعلها تعرف الأشخاص على حقيقتهم، حيث صرحت أنها لم تجد من يمد لها يد المساعدة ويصغي إليها من طرف أفراد العائلة والجيران.

تضيف قائلة حتى إخوتي وأخواتي يلقون اللوم عليا يقولون "معرفتيش تربي"، وكأن ابنتي هي التي ذهبت إلى هؤلاء الوحوش وطلبت منهم أن يعتدوا عليها، لم يعد أحد يزوروني وجيراني قاطعوني وأقفلوا أبوابهم في وجهي. والله في المرة الأخيرة التي قطعت فيها أبنتي أوعيتها الدموية قلت بداخلي ليتها ماتت وارتاحت.

نستنتج غياب الدعم العائلي والاجتماعي الذي كانت تنتظره الأم، بل تفاجأت بردت فعل المحيطين بها. هذا ما جعل علاقاتها الاجتماعية محدودة وأصبحت أكثر انطوائية وعدوانية مع الآخرين، حتى بناتها وزوجها.

عندما سألناها كيف ترى المستقبل وهل لديها أمل في تحسن الأمور؟ قالت إنه لا أمل لديها، وتضيف عن أي مستقبل تتحدثين إذا كانت أختها الأكبر منها وهي سليمة لم تتزوج ولم يكن لها حض في هذه الحياة، أنتظر من هذه التي أصبح فيها عيب يلازمها طوال حيتها ويشكل بصمة عار لها ولكل أفراد العائلة أن يكون لها مستقبل.

ظهرت هنا النظرة التشاؤمية للمستقبل عند الأم، وفقدان الأمل بعد هذا الحدث، حيث تقول إنها لم تنجز شيء ذو قيمة طيلة 36 سنة من الزواج، الابن فر وهاجر والزوج أصيب بالمرض الذي أقعده، وهي في أمس الحاجة له، والنهاية كانت باغتصاب ابنتها الصغرى التي كانت تعلق عليها أمال كبيرة، بحكم أنها كانت متفوقة في دراستها. لكن ضاعت كل أحلامها وأصبحت تعاني الكثير من الأمراض مثل الضغط الدموي والقولون العصبي.

**ب- تحليل نتائج مقياس جودة الحياة:**

**جدول رقم (4): يمثل الدرجات التي تحصلت عليها الحالة الثانية في استبيان جودة الحياة**

| الأبعاد الثلاثة الخاصة بالمقياس | بعد جودة الصحة الجسدية | بعد جودة الحالة النفسية والانفعالية | بعد العلاقات الأسرية والاجتماعية | المجموع الدرجات الكلية |
|---|---|---|---|---|
| الدرجات الخاصة بكل عد | 22 درجة | 53 | 34 | 120/ 109 |

يتضح لنا من خلال الجدول رقم 4 أن الحالة الثانية وهي أم التلميذة ق- لمياء، تحصلت على أعلى درجة من عدم الرضا في بعد الحالة النفسية والانفعالية، وكانت أصغر درجة في بعد الصحة الجسدية. وأظهرت نتائج الاستبيان أن الحالة لديها بعض الأعراض السيكوسوماتية بعد اختطاف ابنتها مثل زيادة ضربات القلب، الشعور بآلام مختلفة على مستوى الجسم خاصة ألام الرأس والرقبة والمفاصل. بالإضافة إلى اضطراب في النوم وضعف الشهية. زيادةً على إصابتها بمرض بارتفاع الضغط الدموي.

أما فيما يخص المشكلات النفسية، ظهر عند الحالة " أم لمياء" شعور بالقلق والتوتر مع تراجع الثقة بالنفس، الشعور بالحزن، سرعة الاستثارة والانطواء والشعور بالوحدة وعدم الاستقرار النفسي والعائلي. أصبحت الأم أكثر عدوانية وقسوة مع أبنائها وزوجها.

كما أن نتائج الاستبيان أظهرت ضعف العلاقات الأسرية والاجتماعية وضعفها، هذا ما ولد شعورا بالسخط وعدم الرضا من الحالة تجاه الآخرين، وولد لديها رغبة في إيذائهم. كما أن النظرة للمستقبل كانت تشاؤومية، من خلال قول الحالة أن مستقبلها مرهون بمستقبل أبنائها، فإذا كانوا هم في عز شبابهم كسرت في قلوبهم ملامح المستقبل كيف لي أن أرى مستقبلي أنا.

**3- مناقشة فرضيات الدراسة:**

**الفرضية الأولى:** تتأثر جودة الحياة الأسرية عند الأم بغياب أحد الأبناء بسبب الاختطاف من خلال عرضنا لمضمون المقابلة النصف موجهة ونتائج استبيان جودة الحياة، وجدنا أن جودة الحياة ضعيفة عند الحالة الثانية وهي أم لمياء. ومستوى حسن إلى متوسط لجودة الحياة عند الحالة الأولى. فبالنسبة للحالة الأولى تلقت دعما نفسيا ومساندة عائلية من طرف أفراد العائلة خاصة الزوج، على عكس الحالة الثانية التي وجدت رفضا من طرف العائلة والمقربين وبالتالي زادت درجة الإحباط عندها، كما أن غياب دور الزوج بسبب المرض وغياب ابنها المهاجر، جعلها تفقد السند العائلي المتمثل في جنس الذكر، هذا ما زاد من معاناتها وألمها.

كما أن تأثر الأسرة بالضغوط والمعاناة من عدمه يرتبط ببنيتها وتماسكها فالأسرة الأولى كانت مشاركة الأب فيها فعالة وجادة، توحي بتحمله للمسؤولية ومواجهته للظرف الطارئ الذي تعرضت له الأسرة، حيث كلما زادت المساعدة والمساندة للام ساهم ذلك في التخفيف من ألمها وشعورها بالضغط. وبالتالي يتولد لديها إحساس بالرضا عن حياتها وعلاقاتها الأسرية. فالحالة الأولى تحقق لديها مفهوم جودة الحياة، حيث توفر لديها مقومات العناية الجيدة ومعالجة الآثار النفسية والسلوكية السلبية التي عاشتها عقب اختفاء ابنها. والمعروف أنه لتحقيق مفهوم جودة الحياة، لابد من توفير مقومات العناية الجيدة ومعالجة الآثار النفسية (السلوكية) التي عادتاً ما تصاحب المرض العضوي.

بالمقابل نلاحظ أن الحالة الثانية (أم لمياء) لم تتقبل واقع اغتصاب ابنتها، حيث زادت درجة القلق عندها، وانخفاض تقدير الحالة الثانية لنوعية حياتها بالمقارنة مع الحالة الأولى. وهذا دليل على زيادة إحساس الحالة الثانية بالشدة والضيق على المستوى الوجداني والجسدي والاجتماعي أكثر من الحالة الأولى، والدليل على ذلك مجموع الأمراض التي تعاني منها.

وحسب "كارول رايف" جودة الحياة النفسية تتمثل في الإحساس الايجابي بحسن الحال ويرصد بالمؤثرات السلوكية التي تدل على: ارتفاع مستويات رضا المرء عن ذاته وعن حياته بشكل عام واستمرار الفرد في علاقات اجتماعية متبادلة مع الآخرين، وكذلك تحديد وجهة ومسار حياته وإقامة علاقات اجتماعية مع الآخرين.

إن الإحساس بالأمن والسلامة، والحاجة إلى حياة إنسانية منظمة ومبنية على درجة كبيرة من الأهمية بالنسبة لجودة حياتهم الشخصية.

إن الحدث الضاغط الذي تعرضت له العائلتين أثر على إدراكهم لجودة الحياة، حيث يتوقف إحساسهم بتلك الجودة على مدى مواجهة الضغوطات النفسية أثناء وبعد معايشتهم لحدث الاختطاف. والشيء الملفت للانتباه أن مستوى جودة الحياة كان منخفض عند الحالة الثانية (أم لمياء)، على الرغم من أنه تم العثور على ابنتها بعد الاختطاف، لكن ما أثر عليها أكثر هو الاعتداء الجنسي والاغتصاب الذي تعرضت له ابنتها، والذي حطمها من الناحية النفسية. وظهرت الحالة الأولى وهي (أم بدر الدين) أكثر تقبلا بعد مرور 10 أشهر من اختفاء ابنها وما زادها تفاؤلا أنه تم رؤيته خلال شهر أكتوبر المنصرم في ولاية البويرة. كما أنها تلقى دعما نفسيا واجتماعيا من طرف الزوج والعائلة.

وهنا تظهر أهمية الضغوط النفسية في علاقتها بجودة الحياة ونوعها، حيث أن مستوى شعور الأفراد بالضغط النفسي، قد يقلل من مستوى تقديرهم لنوعية الحياة عندهم. حيث يسبب هذا الضغط أثار جسمية وانفعالية مختلفة تؤثر على قدرة الفرد على العمل والإنتاج، وتؤدي بعد ذلك إلى انخفاض التقييم الذاتي لنوعية الحياة المعاشة وجودتها (Jordan, 2003).

**الفرضية الثانية:** يختلف تأثير الاختطاف على جودة الحياة الأسرية باختلاف جنس الطفل المخطوف. ما نستنتجه من خلال نتائج هذه الدراسة أن الآثار المترتبة عن الاختطاف تختلف حسب جنس الطفل المخطوف.

بالنسبة للحالة الأولى تقول إنها تستبعد الاختطاف خاصة وأنه كان لديه تذاكر لدخول الملعب وحضور المقابلة، حتى إذا حدث الاختطاف فانه يكون بعد ذلك من خلال أشخاص يستغلونه في العمل أوفي أشياء أخرى. خاصة وأنه من جنس ذكر ونشيط جدا وبالتالي يمكن لأي شخص أن يستغله ويعمل به لأغراضه الخاصة.

أما الحالة الثانية تقول إن اختطاف ابنتها واغتصابها كان بمثابة الضربة القاضية لها، حيث أصبحت تشكو من ألام وأمراض مثل إصابتها بارتفاع الضغط الدموي، والقولون العصبي، وهذا إن دل على شيئا إنما يدل على عدم قدرتها على التكيف مع الوضع الجديد، مما زاد من تراكم الانفعالات غير السارة عندها. وفي هذا السياق أكدت الكثير من الدراسات أن تراكم الانفعالات الغير السارة عند الفرد والتي لا يستطيع أن يعبر عنها تختزن في الجسد وهكذا تستمر التوترات دون أن يعبر الفرد عنها حتى يتوقف الانفعال عن التعبير النفسي ويتحول للتعبير الجسدي، وبالتالي الشخص في الغالب لا يشكو من الناحية النفسية، بل يشكو من الناحية الجسدية، حيث يتوجه للعلاج الطبي الذي لا ينفعه لأن الاضطراب الأساسي يعود لأسباب نفسية وليس جسمية وهوما يعبر عنه بالاضطرابات السيكوسوماتية (عبد المعطي، 2003 ص .46).

وفي الأخير يمكن القول إن الأمهات مهما اختلفت خصائصهن وظروفهن في الحياة فهن لا تخلين عن دورهن الأساسي وهو تربية أبنائهم والسعي لتحقيق التوازن لهم في جميع المستويات.

**- خاتمة:**

ظاهرة اختطاف الأطفال هي مشكلة أربكت الأسر الجزائرية، ضحيتها أطفال دفعوا ثمن تصفية حسابات عائلية أو ابتزاز أو لمجرد شهوات جنسية مرضية. وهي في تزايد وتفاقم سواء من حيث ارتفاع نسب ضحاياها أو النهايات المأساوية والحزينة. التي زادت من خوف العائلات وحرصهم على أبنائهم . ويبقى الشيء الأهم هو تحييد الأبناء عن خطر المجرمين من ذوي النفوس الخبيثة، ومن تحركهم لتصفية الحسابات بين الكبار بإزهاق أرواح الصغار. هذا ما أثر على جودة الحياة عند العائلات التي كان أبنائها ضحيا الاختطاف الوحشي. فجودة الحياة هي تحسن الفرد المستمر والقدرة على مواجهة الضغوط والصعوبات التي تواجهه والتغلب عليها والقدرة على التكيف مع المحيط الخارجي والعيش بسلام والتطلع للمستقبل، والاستمتاع بالظروف المحيطة به.

وما يزيد خطورة هذه الظاهرة هو أن الأسباب الكامنة وراء انتشارها ما زالت قائمة كالمخدرات والاستعمال السيئ للإنترنت، وعمالة الأطفال والمتاجرة بأعضائهم أو بغرض الانتقام من أهاليهم. فالكثير

من الأطفال تم اختطافهم من أمام منازلهم أووهم في الطريق إلى المدرسة أو عائدون منها. وبعد مدة من الاختفاء وعمليات البحث، يعثر على المختَطفين إما مذبوحين أو استقر بهم الحال في عمق بئر أو ملفوفين في أكياس بلاستيك بعد التنكيل بهم.

فالاتحاد الوطني لجمعيات أولياء التلاميذ، دعا وزارة التربية إلى التدخل لدى مصالح الأمن بهدف نشر قوات الشرطة أمام المداخل الرئيسية للمؤسسات التربوية، وهو إجراء سبق أن جرت محاولات لتطبيقه، لكنها بقيت على مستوى محدود ولم يتم التقيد بها في شكل عملي.

**- التوصيات والاقتراحات:**

- ضرورة التكفل بهؤلاء الأمهات وحتى الأطفال المخطوفين ومساعدتهم على تطوير كفاءتهم الذاتية وتحسين نوعية حياتهم، وتوظيف أساليب تفكيرهم الايجابية التفاؤلية.

- ضرورة تشجيع الباحثين في مجال علم النفس لإجراء دراسات حول جودة الحياة عند الأطفال والمراهقين بعد الاختطاف خاصة الذين تعرضوا لاعتداء جسدي واغتصاب لأنهم يعيشون صدمة حقيقية.

- أهمية إعادة تأهيل الشباب المنحرفين عبر فتح مرافق ترفيهية رياضية وثقافية. ضرورة التكفل بالمجرمين بعد ارتكابهم جرائمهم، وركزت على دور الأسرة في العملية الإصلاحية.

**- قائمة المصادر والمراجع:**

- القرآن الكريم سورة العنكبوت الآية 37.
- القرآن الكريم سورة البقرة الآية 21.
- الحربي خالد بن سليم. (2011). "ضحايا التهريب البشري من الأطفال". جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، مركز الدراسات والبحوث، الرياض، الطبعة الأولى. مكة المكرمة للنشر والتوزيع.
- بوعيشة أمال. (2014). "جودة الحياة وعلاقتها بالهوية النفسية لدي ضحيا الإرهاب بالجزائر"، رسالة دكتوراه في علم النفس. جامعة محمد خيضر بسكرة.
- تاهمي عبد الكريم. (2006). الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية. قانون العقوبات الجزائري المعدل، رقم 06- 23 المؤرخ في 20 ديسمبر 2006.
- عبد المعطي، حسن مصطفى. (2005). الإرشاد النفسي وجودة الحياة في المجتمع المعاصر. وقائع المؤتمر الثالث " الانتماء النفسي والتربوي للإنسان العربي في ضوء جودة الحياة، جامعة الزقازيق، مصر.
- مصابيح فوزية. (2014). "ظاهرة اختطاف الأطفال في المجتمع الجزائري (بين العوامل والآثار). جامعة خميس مليانة. (الجزائر). ورقة عمل في فعاليات المؤتمر الدولي السادس الحماية الدولية للطفل، طرابلس 20، 21، 22 2014.
- مصلح صالح. (2004). "الضبط الاجتماعي"، الطبعة الأولى. عمان، الأردن: الوارق للنشر والتوزيع.
- نور الدين براشدي. (2015). الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، المديرية العامة للأمن الوطني، "إحصائيات حول اختطاف الأطفال".
-Gilman R, Easterbrooks, S, et Frey, M (2004). A preliminary study of multidimensional life satisfaction among deaf / hard hearing youth across, environmental settings social, indictors research,
-Whoqol group (1995), the world health organisation quality of life assessment.